

المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814 - 1818

"مؤتمر إكس لاشابيل 1818 Aix _La chapelle"

أ. جخدان بوعبدالله *

الملخص:

يعتبر مؤتمر اكس لا شابيل الذي عقد بألمانيا آخر مؤتمر لتسوية القضايا الأوروبية العالقة ضمن جدول أعمالها الرئيسية وهي نظر في قضية سحب القوات الحلفاء المتواجدة على أراضيها، وكانت قضية القرصنة المغاربية والجزائر خصوصا في البحر الأبيض المتوسط ضمن جدول أعمالها أيضا شغلها الشاغل في قضاء على هذه قوة البحرية لتفادي إعفاءات الجمركية مفروضة على سفنها وأفضى إجتماع إلى كتابة بروتوكول بخط اليد مكون من خمسة صفحات مكتوبة بشكل عمودي موجه للدول الثلاثة تونس والمغرب والجزائر لوقف عملية القرصنة كما أطلق عليها هم أي أوروبيون وكان رد إيالات العثمانية بموافقة بإستثناء إيالة الجزائر، ونتيجة هي إحتلال الفرنسي للجزائر 1830/07/05.

Abstract:

Is the AIX-la-Chapelle conference held in Germany last conference to resolve the pending European issues within its main business agenda and is consider the issue of troop withdrawal allies stationed on its territory, and has been the cause of the Maghreb piracy and Algeria, especially in the Mediterranean on its agenda is

* جخدان بوعبدالله، أ. مساعد بقسم التاريخ، جامعة ابن خلدون تيارت. الجزائر.

also a prime concern in the district this naval force to avoid breaks embers and cauterizing imposed on ships and led a meeting to write a protocol consisting of five pages written vertically oriented three countries Tunisia, Morocco and Algeria to stop piracy handwritten also called are no Europeans and was the Ottoman Ayalat responded with the consent exception Aaalh Algeria, and the result is a French Algeria 05/07/1830.

مقدمة:

يتطلب منا بحث في موضوع «المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية ما بين 1814 إلى 1818» التطرق إلى حيثيات هذا الموضوع من خلال دراسة خلفياته التاريخية التي مر بها العالم الإسلامي والعالم المسيحي خصوصا في الفترة الممتدة من نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر والذي شهد فيه العالم تطورات سياسية التي إجتاحت أوروبا لسنوات ممتدة من سنة 1789 إلى 1815، ولنشكل فهما لما شهدته أوروبا من تطورات وما صاحبها من إندلاع الثورة الفرنسية وتأسيس إمبراطورية النابليونية من أهم حوادث، ومن ثم إنهيار هذه الإمبراطورية وإتفاق الحلفاء المنتصرين على عقد مؤتمر دولي جامع لإصلاح ما أفسده نابليون ولإرساء أسس نظام جديد في العلاقات الدولية، هذا فيما يخص تطورات حاصلة على المستوى الأوروبي خاصة و العالم الإسلامي عامة الذي عانى من جراء سياسة نابليونية وما إنجر عنها من عواقب إنعكست عليه سلبا وغيرت في ميزان القوى للعالمين وترجيح الكفة لصالح الغرب المسيحي فالجزائر في تلك الحقبة وما قبلها كانت خاضعة للحكم العثماني 1519- 1830، فتدويل المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية أو

الأوروبية إن أصبح التعبير يعود إلى انعقاد مؤتمر فيينا 1815 لمحاكمة نابليون وإعادة رسم حدود الطبيعية بين الدول.

وتعود مسألة الجزائرية وتدويلها في المؤتمرات الدولية في الفترة الممتدة من سنوات 1814 إلى غاية 1818، والمتسبب الرئيسي في طرح القضية الجزائرية في المؤتمرات الدولية تتمثل في شخص سيدني سميث الذي قدم مذكرة في 31 أوت 1814 بخصوص قرصنة المغاربة في البحر المتوسط ودعى إلى ضرورة القضاء عليها لكن المؤتمر لم يخرج بأي قرارات بشأن القرصنة لنعقد مؤتمر لندن 1816 فلم يخرج هو آخر بأي قرار لأن فرنسا رفضت تشكيل حلف العسكري المقرر إنشاؤه لضرب قوة المغاربة في البحر المتوسط وفي المؤتمر منح المؤتمر حق لفرنسا وبريطانيا النظر في ما هو صالح للقارة الأوروبية، فإنتهزت بريطانيا فرصة التي منحتها لها دول الأوروبية وتسببت في حملة اللورد اكسمورث والذي اشترك مع الولايات المتحدة في حربها على إيالة الجزائر عام 1815، وكذلك حملته على إيالة الجزائر بإشتراك مع فون كابلين (فان كابيلان) الهولندي في 27 أوت 1816.

ثم عاود الأوروبيون طرح المسألة الجزائرية في مؤتمر أكس لاشابيل عام 1818 الذي جاء فيه تهديد مباشر للدول المغربية بتخلي عن أعمال القرصنة في البحر المتوسط نهائيا والذي تجسد في تقرير مكتوب بخط يد بشكل عمودي من جهة واحدة مكون من خمسة صفحات، لكن الداوي حسين رفض شروط مؤتمر أكس لاشابيل ليتعرض بذلك إلى حملة صليبية والمتمثلة في حملة إنجليزية عام 1824 مرورا بحصار الفرنسي للسواحل الجزائرية 1827م إلى غاية تعرضها لإحتلال المباشر عام 1830 من قبل فرنسا.

1- وفود المؤتمر وأهدافه:

عقدت الأوتوقراطيات الأربع الكبرى انجلترا، والنمسا وروسيا وبروسيا هذا المؤتمر في سبتمبر عام 1818، وقد حضره رئيس الوزراء الفرنسي الدوق "دي ريشيليو ممثلاً لفرنسا،¹ وقيصرو روسيا وإمبراطور النمسا "كابوديسترياس" ونيسلورد و الكونت "برنتشتورف" ومثل انجلترا لورد كاسلري ودوق ولنجتون.²

نتيجة التحالف المقدس الذي جمع كلا من النمسا وبروسيا وبريطانيا باستمرار العمل على إقصاء أسرة نابليون عن فرنسا وعلى وجوب إجتماع ممثلي الدول المتعاقدة في فترات يتفق عليها للبحث في مصالحها المشتركة وفي شؤون سلام أوروبا وأمنها، غير أن تحالف لم يكن حقيقيا فكان مترنيخ يريد جعل الحلف الرباعي أداة فاعلة لقمع الحركات الحرة في جميع أنحاء أوروبا وآلة في يد التحالف المقدس رغم رفضه الإنضمام إليه وعدو المبادئ الحرة في العالم، ورأى كاسلريه محافظ في أعين خصومه الأحرار والمستبد وعدم تدخل الدول في السياسة الدول وحكمها الداخلي وكان يرى حماية ألمانيا وتقويتها لتقف سدا في وجه فرنسا وروسيا وأنه يعرف قيمة التحالف مع النمسا كدعامة محافظة وعدم رغبته في مشاهدة بريطانيا تجرّ تدخّل في شؤون الداخلية لأوروبا وأن مواطنيه لن يسمحوا لأنفسهم بالإشتراك في سياسة مترنيخ ذات الشدة والقمع وبمرور الوقت حصلت خلافات بين سياسة بريطانيا والنمسا،³ كما إتسمت هذه السنوات بمحاولات روسيا وكنتيجة طبيعية لما كانت عليه مكائنها في 1814-1815 توسيع نطاق هيمنتها وخروجها إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط بعد أن أخفقت محاولاتها في التغلغل إلى وسط أوروبا، والواقع أن سياسة الإمبراطور الروسي الكسندر تجاه البحر المتوسط بدت أكثر وضوحا عام 1816 م حينما طلب من أعضاء الحلف المقدس التدخل العملي للقضاء على القراصنة البربر في البحر المتوسط،

وأعرب عن استعداده لإنجاز المهمة بمفرده بدلا عنهم، إلا أن تدخل بريطانيا وعرضها القيام بذلك بالتعاون مع السلطان العثماني قد أفسد خطة القيصر الكسندر وفي آذار 1817فاوض الكسندر، ملك إسبانيا فرديناند السابع لأجل الحصول على ميناء جزيرة مينورقة Minorca، مقابل حصول إسبانيا على بعض قطع الأسطول الروسي، والمساعدة الروسية في تدعيم سلطة الملك في بلاده وفي مستعمراتها المتمردة في أمريكا الجنوبية، وأثارت سياسة روسيا باهتمام النمسا وقلق مترینخ الشديد، نظرا للإرتباطاته العائلية في بادن وفورتمبرغ، وما كان يقوم به وكلاؤه في نابولي من تشجيع ودعم للفحامين Carbonari هناك وكأنها بداية لتغلغل روسي واضح في مناطق النفوذ النمساوي⁴ في ألمانيا وإيطاليا، ولا سيما أنها تزامنت مع نشاطات القيصر الكسندر في البحر المتوسط بإقتراح مترینخ إقتراح تشكيل عصبة ثالثة لدفع الخطر الروسي ورفضه كاسلريه خوفا من التصدع التحالف ولحسن نية إقتراح القيصر الكسندر على كاسلريه تخفيض القوات العسكرية الروسية شريطة إلزام النمسا وبروسيا بتقليص قواتها ومنشأتها العسكرية، بيد أن هذا المقترح لم يلق إستحسان بريطانيا لعدم إمكانية تطبيقه في ظل إختلاف ظروف الواقع السياسي للدول الثلاث، وكذلك النمسا لفقدان الثقة بالكسندر، "ولاسيما وأن الكسندر كان دائم التبجح بإمكانية وضع مليون مقاتل في ساحة المعركة⁵.

أما فرنسا في شهر نوفمبر من عام 1815م رأى التحالف الأوروبي أن موقف الشعب الفرنسي يهدد عملها، إلا أن تعقل الشعب الفرنسي أثار دهشة الحلفاء رغم تواجد قواتهم على أراضيها حتى تدفع غرامة الحرب وظهرت في هذه الفترة معارضة اليسار (فلاحين وعمال وصغار البرجوازية والضباط السابقين) عودة نظام القديم، ومعارضة اليمين (كبار ملاك الأراضي) ضد

نظام السابق وخشيتهم من سيطرة الملكيين المتطرفين راغبين في قلب النظام، فرأى الحلفاء أن الملكية المعتدلة تمارس السلطة في فرنسا، وهنا ظهر دوق دي ريشيليه رئيس مجلس الوزراء في السلطة منذ 24 سبتمبر 1518 أن يعمل على إرضائهم والذي سبقه أن عاش في روسيا أثناء هجرته وعمل حاكما على أوديسا الحاضي بثقة الإسكندر قبله الحلفاء بسهولة لأنه عرف عنه الاعتدال والولاء فأصطدم دي ريشيليه بمعارضة الملكيين المتطرفين الذين حصلوا على الأغلبية في المجلس المعقود وهنا نصحت إنجلترا وروسيا لويس الثامن عشر بحل هذا المجلس في سبتمبر 1816، وأجرت إنتخابات جديدة وفاز المعتدلون وظهر موقف فرنسا 1817 أكثر ثباتا وأفاد الدوق دي ريشيليه أنه سيحاول بناء سياسة الخارجية لفرنسا بناء على هدفين جلاء الحلفاء عن الأراضي الفرنسية دون إنتظار خمسة سنوات وكذا قبول فرنسا دخول في المجموعة الأوروبية،⁶ وهكذا لم يستطع النبلاء أو الإشراف إطلاقا إسترجاع سلطانهم وإمтиازاتهم القديمة، أما رجال الدين إزدادوا ضعفا أمام مساواة القانون وحرية الشخصية والحرس الأهلي وإلغاء نظام الإقطاع والنظام القضائي الجديد دون أن تتأثر بعودة الملكية إلى الحكم ولم يحاول أحد إلغاء قوانين نابليون الشهيرة ولا إقفال الجامعة التي أسسها، وهكذا بدت الملكية العائدة بتقاليدها المطلقة لا تناسب مجتمعا أصبحت تسوده مبادئ المساواة والحرية ونزعة بعيدة كل البعد عن الدين،⁷ وضع ريشيليو في جدول أعمال وزارته بعد 1817 هدفا رئيسيا هو إنهاء الإحتلال وإستعادة قبول فرنسا في المحفل الأوروبي، الأمر الذي تطلب إيفاء فرنسا بكل إلتزاماتها المالية لتكون نافذتها لتهدئة شكوك الحلفاء، وتزيل عوامل الشك والريبة التي إقترنت بالثورة الفرنسية وسيرا بهذا الإتجاه، فقد إتخذت وزارة ريشيليو إجراءات مالية كثيرة وناجحة أثمرت بالنتيجة في تسديد الغرامة المالية،⁸ فهي سياسة

داخلية من قبل الدوق دي ريشيليه لجعل الحلفاء يوافقون على الجلاء من أراضيه قبل الميعاد وكذلك للقضاء على الروح الثورية⁹.

تضمن جدول الأعمال المؤتمر أكس لاشابيل سحب القوات المحتلة من الأراضي الفرنسية وتجدر الإشارة أن ريشيليو قد سعى جاهدا خلال العامين السابقين على إنعقاد المؤتمر أكس لاشابيل إلى إقناع الأوتوقراطيين الأربعة الكبار بضرورة سحب قواتهم من فرنسا في أقرب فرصة ممكنة وعدم الإنتظار إلى نهاية الخمس سنوات التي حددوها في مؤتمر باريس الثانية كفترة إحتلال أن يضج الشعب الفرنسي وتزداد لدى أفرادها مشاعر العداء القوى الأربع الكبرى على نحو قد يهئ لإيقاظ الروح الثورية في نفوس الفرنسيين،¹⁰ ونظرا لما أبدته فرنسا بتقييد بمقررات مؤتمر فيينا ورغبة في محافظة على التوازن الدولي فقد وافق مندبو إنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا على الجلاء من الأراضي الفرنسية قبل نهاية شهر نوفمبر 1818، بالمقابل تتعهد فرنسا بدفع غرامة المفروضة عليها مرة واحدة وقرار هذا كان قد صدر رغم تخوف إنجلترا من روسيا المتحمس لمساعدة فرنسا،¹¹ وأمام حجج ريشيليو المقدمة إضطر ولينجتن قائد قوات الإحتلال بفرنسا إرسال محققين لدراسة حال الرأي العام الفرنسي وسرعان ما أكدت الدراسة صواب إدعاءات ريشيليو الأمر الذي تمخض عن إقتناع الحلفاء بضرورة سحب قوات فرنسا،¹² وفي ربيع 1818 تم إستعداد الرسمي والفعلي لسحب القوات شريطة أن تدفع فرنسا الغرامة الحربية المحددة من قبل معاهدة الصلح بأكملها، وفي 19 أكتوبر 1818، تم الجلاء قوات التي تحتل فرنسا غير أن ريشيليو لم يكتف وطالب المؤتمرين بقبول فرنسا عضوة في زمرة القوى الكبرى مؤكدا لهم فقط لإرضاء العزة القومية الفرنسيين وتدعيم النظام الملكي الفرنسي رغم الإحتلال في بداية الأمر وافقوا في الأخير على المطلب وأصبحت فرنسا واحدة من ضمن القوى

الكبرى المقررة لنسق الأوروبي، بعد أن اقنع متمرنيخ ممثلي إنجلترا وروسيا وبروسيا باتفاق سري بين الأربعة بإستخدام جيوشها الأربعة مشتركة وممتدة ضد فرنسا في حالة ترتب تهديد امن الدول المجاورة، وتم ذلك في 1 نوفمبر 1818، غير أن موافقة إنجلترا كان فقط إعتلاء أحد أسرة بوناپرت عرش فرنسا،¹³ توجت أعمال مؤتمر إكس لاشابيل بتوقيع بروتوكول في الخامس عشر من تشرين الثاني عام 1818م من قبل ممثلي النمسا، فرنسا، بريطانيا، بروسيا وبروسيا، أعيدت بموجبه فرنسا كعضو فاعل في المحفل الأوروبي.

تضمن هذا البروتوكول مقدمة وخمسة مواد، جاء في مقدمته: "إن وزراء النمسا، فرنسا، بريطانيا، بروسيا، وروسيا قد إجتمعوا في هذا المؤتمر لتدارس العلاقات التي يجب أن تبني بين فرنسا والدول الموقعة على معاهدة باريس الثانية والتي ستضمن لفرنسا المكانة الملائمة في النظام الأوروبي مما سينعكس في تعزيز السلام والهدوء العام"، أما المادة الأولى من البروتوكول فقد بينت "تصميم المؤتمرين القوي على عدم التخلي عن مبادئ الإتحاد الصميمي في تسير علاقاتهم المتبادلة أو علاقاتهم مع الدول الأخرى"، أما المادة الثانية، فقد بينت "أن هذا الإتحاد سيكون قويا وقادرا على الحفاظ مع السلام بقدر عدم إعتداد أعضاءه على المصالح الخاصة والحاجة المؤقتة في تسير شؤونهم"، أما المادة الثالثة، فقد أشارت إلى "أن فرنسا التي أنظمت إلى الدول الأخرى بإسترجاع الملكية الشرعية تتعهد من الآن فصاعدا بأن تتعاون في المحافظة وتعزيز النظام الذي لوحده أعطى السلام لأوروبا ولوحده يضمن إستمرار وبقاء السلام"، أما المادة الرابعة، فقد بينت "أنه من أجل المحافظة على السلام فإن القوى الموقعة على هذا البروتوكول ترى أن من الضروري أن تعقد إجتماعات خاصة أما للملوك أو لوزرائهم أو ممثلهم من أجل معالجة مصالحهم الخاصة بصورة مشتركة، وأن وقت ومكان هذه الإجتماعات سوف

يحدد مسبقا من خلال الإتصالات الدبلوماسية وإذ ما قدر لهذه الإجتماعات إن تتناول شؤون دول أخرى، فيجب أن يتم ذلك من خلال دعوة هذه الدول رسميا للمشاركة فيها"، أما المادة الخامسة، فقد بينت "وجوب إعلام كل بلاطات أوروبا بقرارات هذا البروتوكول من خلال تصريح خاص" يعد مؤتمر اكس لاشابيل من أنجح المؤتمرات الدورية. إذ انتهت بموجبه الوصاية الدولية على فرنسا¹⁴.

2- مناقشة مسألة القرصنة المغربية في الحوض المتوسطي:

مسألة أمن البحر الأبيض المتوسط إحدى القضايا الساخنة التي نالت إهتمام الدول المسيحية بزعامة انجلترا منذ عقد مؤتمر لندن 1816، التي لم تخرج بأي نتيجة أو إتفاق حول إنهاء القرصنة المغربية عموما والجزائرية خاصة ورغم ما شهدته من تراجع فالجزائر أعادت بناء أسطولها ومعاودة نشاطها مما جعل المؤتمرين يناقشون القضية في مؤتمر اكس لاشابيل في جنوب ألمانيا 1818 من طرف القوى الخمسة الكبرى "إنجلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا"¹⁵، وتم إتفاق على توقيع بروتوكول 20 نوفمبر 1818 جاء فيه: "إتفق المفاوضون طبقا لنص بروتوكولي على أن يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن النظر في المقترحات لإلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية (المغربية) بطريقة فعالة... وقد طلبوا إلى مندوبي بريطانيا وفرنسا بوصفها ممثلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لنفوذهما ثقل أكبر لدى هذه القرصنة الذي يقلق التجارة السلمية التي ستكون له آثار تجعل الإيالات المغربية أن تفكر عاجلا في نتائجه التي قد تمس وجودها نفسه... وتحفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الإيالات المغربية نتيجة إستمرارها في ممارسة القرصنة من حيث أنها ستكون سببا في قيام الدول الأوروبية بإتخاذ إجراءات حاسمة"¹⁶.

3- فرنسا وبريطانيا تتبنى تنفيذ قرارات مؤتمر إكس لاشابيل 1818 وموقف المغاربة منها:

أ. الجزائر وموقفها من مؤتمر إكس لاشابيل 1818:

وكان مؤتمر إكس لاشابيل آخر المؤتمرات التي ناقشت مسألة القرصنة، فبروتوكول الصادر هو مخطط واضح بالقضاء على القرصنة المغربية وتم ذلك بتكوين أسطولين في النصف الثاني من سنة 1819 الأول انجليزي "توماس فريمانتل" والثاني فرنسي بقيادة "جوريان دي لاغرافير" لإرغام المغاربة بتخلي عن عمليات القرصنة وتوجها مباشرة إلى الجزائر وحظي بلقاءين¹⁷.

ب. مقابلة الداوي مع مبعوثي دول إكس لاشابيل:

ب-1- تقرير مقابلة الأولى 5 سبتمبر 1819:

في يوم 5 سبتمبر 1819 توجه مبعوثان لمقابلة الداوي حسين على الساعة الحادية عشرة صباحا مرفقين بقنصلي بلديهما العامين وبضابطين من هيئة أركانها صلبة كل واحد منهما ذلك أن الداوي قد أعلن أنه سيستقبل ثلاثة أشخاص من كل أمة فقط،¹⁸ أخذ مبعوث الفرنسي الكلمة ليقدم للداوي التصريح الذي وضعته المؤتمرين في إكس لاشابيل مرفقا بمذكرة توضيحية وطلب المبعوث من الداوي أن يكون رده على الإشعار كتابة كذلك استلم الداوي المذكرتين ومعها ترجمة باللغتين التركية والعربية الموقعة من طرفهما كذلك فقرأها الداوي، فإندهمشم من إحتجاج المقدم له الذي لا أساس له كون الجزائر في حالة سلم مع كل الدول الأوروبية وأنه منذ وصوله لم يحدث شيء من هذا القبيل في الجزائر وقال هذا الإجتماع عديم الجدوى وكان رد المبعوثان أن الجزائر في سلم مع أوروبا منذ أن وصل إلى الحكم لكن ماضي وحكم أسلافه قد وقعت حوادث خطيرة فهو مسؤول عن كافة أعمال أسلافه ولعدم

معاودت الكرة أسلافه تطلب منه دول الأوروبية ضمانات مستقبلية بإتخاذ قرار ثابت ومحدد فأعرب الداي حسين أنه لن يسمح بحجز أية سفينة ولا ممتلكات أي سفينة أوروبية الذين لهم قنصلا معتمدا في الجزائر ويحافظ على السلم بين الإيالة والدول الأوروبية أو أحد رعاياها أليس هو سيد في مثل هذا الأمر في أن يعلن الحرب ويطالب بالتعويضات عن الأضرار التي لحقت به؟ فكان رد نعم من قبل المبعوثان لكن المحايديين سيتضررون، وأن هدفنا تأمين المبادلات الأوروبية إلى الأبد وتأمين تجارتها الممارسة تحت حماية القانون العام وحقوق الإنسان فرد الداي بعدم إزعاج تجارة المحايديين وهنا طلب المبعوثان تدوين الضمانات كتابة بناء على تعليمات حكوماتهما فطلب الداي تفكير في الموضوع الذي شكك في صحة المبعوثين وأنها من تلقاء نفسيهما¹⁹.

ب-2- المقابلة الثانية:

تمت في 9 سبتمبر 1819م: طلب المبعوثان بواسطة مترجمهما هل سمو الداي مستعد لإعطاء الجواب مكتوبا ردا على مذكرتهما، فكان رد الداي بواسطة مترجمين أنه لم يعتد على أية دول الأوروبية وأنه وفق معتقداته ومبادئه ينوي ضبط علاقاته ومساعدته مع الدول الأوروبية دائما في هذا الإتجاه ولكن لا يبدو ضروريا إعطاء هذا الجواب مكتوبا، وعلى إثرها طلب المبعوثان مقابلة الداي لتوضيح الموضوع وحددت المقابلة يوم 9 سبتمبر على الساعة الواحدة بعد الظهر، وقدم للداي مشروع تصريح مترجم إلى العربية يتضمن التأكيدات التي كلف المترجمين بتبليغها للمبعوثين وترجياه قراءته بتمعن وإقراره بوضع خاتمه عليه ومشروع التصريح هو مايلي: "إن السيدين مبعوثي جلالتهما إلخ، ترجيا سموه إقرار هذا التصريح بوضع خاتمه عليه لكونه لم يعتد على أية دولة أوروبية مهما كانت منذ توليه السلطة وأنه وفقا لمبادئه، فإن نيته هي ضبط علاقاته دائما في هذا الإتجاه مع الدول الأجنبية"

وعند قراءته صرح بأن يبلغا حكوماتهما به لكنه لم يوقع لكونه لم يتلق أي إشعار موقع من عاهلتهما،²⁰ فكان رد المبعوثان أنه لم تجري العادة أن يكتب الملوك عندما يوفدون مبعوثين بل مذكرات فقط فرد لا أستطيع إعطاء الجواب مكتوب، فهدده المبعوثان فرد الداى متسائلا أليس من حقه إعلان الحرب ضد أعدائه فرد مبعوثان أنه خارج مهمتهما وأنه سيعبئ ضده قوات كل الدول الأوروبية، ورد إذا كان عليه إحراق أسلحته التي لم تعد بناء على ما يطلب منه بذات جدوى فرد مبعوثان يجب إحتفاظ بأسلحته كما تحتفظ بها دول الأخرى دون إزعاج وإغلاق تجارة الأمم الأخرى، وصرح الداى بإحترام جميع معاهدات التي تربطه بالأمم الأوروبية التي في حالة سلم مع الجزائر وقناصل معتمدين لديه ويمنع من إعتداء عليها لكن له حق بتفتيش وحجز كل السفن التي لا تحمل جوازات السفر مضبوطة، فرد مبعوثان أن هذا هو موضوع شكوى الرئيسي للدول الأوروبية الكبرى لأنه مضیعة للوقت وزيادة في المصاريف وحجز الصحي عالي التكلفة.

لقد لا حظ سمو الداى أنه من الحائز أن يكون في حالة حرب منذ الغد مع تونس ليتأكد من هو صديق وعدو ولا يعد صديق صديقا إلا تلك الأمم التي لها أعوان معتمدين لدى سموه وأمم أخرى عدوة مالم توفد مبعوثا لتصالح مع الجزائر فرد مبعوثان أن هذا المسلك سيعرضه للخطر ويهدد وجود دولته الجزائر وهنا توقف الحديث بين الطرفين وطلب المبعوثان إذن الإنصراف مرديين مرة أخرى، إذا كانت نيته الإستمرار في القرصنة ضد التجارة الأوروبية فإنه يجب عليه أن يتوقع إنهيال جميع أسلحة أوروبا عليه.

لم يرد سموه على هذا التصريح لقد إستأذن المبعوثان في الإنصراف وتمنى لهما سموه بلطف وامتنان رحلة سعيدة²¹ بعد أن أبلغهما بأنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوروبيين، وأن دولته حرة في محاربة من تشاء وفي سلم من

تشاء وأن سيفتش السفن الأجنبية جميعاً²² وأمر بتكثيف النشاط البحري كما أُنذر جميع القناصل الأوروبيين المعتدين بالجزائر بأنه في حالة ما إذا رفضوا دفع الإتاوات المقررة عليهم يعتبرون أعداء²³.

4- موقف كل من تونس وطرابلس الغرب والمغرب الأقصى من قرارات مؤتمر إكس لاشابيل:

أ. تونس و طرابلس الغرب:

أبحر الوفد الأوربي بعد تلك المحاولات الفاشلة إلى تونس التي وافقت على إحترام كل المعاهدات المعقودة مع الدول الأوروبية والإجماع الأوروبي على إنهاء الحملات البحرية، وعلى الرغم من أن الجزائر هي التي تعرضت للقصف والتدمير من حملة أكسموث فإن موقفها كان قويا وفيه تحد واضح للقوى الأوروبية مجتمعة على عكس تونس وطرابلس التي وصلتها الفرقة الإنجلوفرنسية يومي 8 أكتوبر 1819 حيث أبلغت به أياالات المغرب، وقد كان رد يوسف باشا كما يلي: "صاحب السمو باشا طرابلس نشعر... بكل مشاعر الإحترام والصدقة لأصحاب الجلالة ملكا إنجلترا وفرنسا وإلى ملوك القوى الأوروبية الذي إجتمعوا في إكس لاشابيل فإننا لندين من هذا اليوم 9 أكتوبر" وإلى الأبد كل مظاهر القرصنة والنهب سواء بالبحر أم الأرض، وأيضا بعدم السماح لأي من سفننا التجارية بأن تدنولتهاجم في البحر أي سفينة أو مركب تابعة للقوى المشار إليها أعلى²⁴.

ب. المغرب الأقصى:

وكان موقف المغرب الأقصى من قرارات مؤتمر إكس لاشابيل من خلال قول أبي العباس الناصري: "وفي هذه السنة 1233 هـ/ 1818 أبطل السلطان

الجهاد في البحر ومنع رؤساءه من القرصنة به على الأجناس وفرق بعض قراصنته على الإيالات المجاورة مثل الجزائر وطرابلس وما بقي منها المدافع وغيرها من آلة الحرب وأعرض عن أمر البحر راسيا بعد أن كانت قراصنة المغرب أكثر وأحسن من قراصنة صاحب الجزائر وتونس.

الخاتمة:

ما يمكن قوله أن مؤتمر إكس لاشابيل المنعقد سبتمبر عام 1818 من طرف الدول الكبرى (انجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا هذا المؤتمر) هو آخر مؤتمر يناقش المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية خاصة والمغاربية عامة ووضع حد للقرصنة في البحر المتوسط فتم بكتابة تقرير مبعوث للدول مكون من خمسة صفحات مكتوبة بشكل عمودي فقبلت دول المغاربية تونس ليبيا المغرب ماعدا الجزائر التي رفضت قرارات مؤتمر واعتبرته غير رسمي وتلاعب لعدم وجود ختم عليه طبعا بمفاوضات جرت مع مبعوثي مؤتمر اكسل لاشابيل والتي جمعت الداي حسين معهم بمقابلتين الأولى 05 والثاني 09 سبتمبر 1819، وأمام هذا رفض رجعا مبعوثين لإبلاغ أعضاء المؤتمر إكس لاشابيل بنتيجة، فعندها حملوا الدولة العثمانية قرارات رفض إيالة الجزائر وأنها تتحمل كل ما يلحق بها في حالة عدم إقناعها برضوخ لقرارات المؤتمر، فتمت حملة انجليزية 1824 ثم حملة الفرنسية 05/07/1830 دون تحرك الدولة العثمانية ساكنا سوى ما كان لها على مستوى الدبلوماسية لكن محاولاتها كلها باءت بالفشل.

الهوامش:

1. نصار(ممدوح)، وهبان (أحمد)، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815-1991، قسم العلوم السياسية، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، د.ت. ص49.
 2. عصمت راشد (زينب) ، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت. ص243.
 3. الزبيدي(المفيد) ، موسوعة تاريخ اوربأ الحديث والمعاصر من الثورة الى الحرب العالمية الأولى (1789-1914)، ج3، دارأسامة، عمان الأردن، 2004، ص701.
 4. حاوي الشويلي(زيدان حسان)، مؤتمراتنا 1814-1815، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بغداد، العراق، 2003، ص136.
 5. نفس المرجع، ص137.
 6. رنوفان (بيير)، تاريخ العلاقات الدولية 1815_1914، تعريب جلال يحي، د.م، مصر، ط2، 1971، ص51-52.
 7. المقرحي (ميلاد أ) ، تاريخ أوروبا الحديث 1848_1453، ط1، دار الكتب الوطنية قان يونس، بنغازي، 1996، ص366.
 8. حاوي الشويلي (زيدان حسان) ، المرجع السابق، ص140.
 9. رونوفان (بيير) ، المصدر السابق، ص52.
- * معاهدة باريس الثانية 1815/11/20م: عاملت بريطانيا في تسوية عقب حكم مائة يوم بالإعتدال وبروسيا نالت مرادها (الألزاس واللورين) وبدأ ولنجتن وكاسلريه تحول فرنسا الخسارة لمصلحة انجلترا وفائدة لأوروبا أن تقدم كل معونة ممكنة لأسرة الفرنسية المالكة لكي تحتفظ بولاء شعبيها نعم قضي على فرنسا أن تتخلى عن دوقية بويون و شطر من الأردن إلى

مملكة الأراضي المنخفضة وأن تسلم حصون سارلوي ولندا وألمانيا وأن تدفع غرامة قدرها سبعمائة مليون فرنك وأن تخضع لجيش الإحتلال لفترة ثلاث إلى خمس سنوات وأن تعيد كنوز الفنية التي سمحت لها معاهدة الصلح السابقة بأن تبقىها في يدها ولكن لم يكن في هذه الشروط ما يتعذر على كرامة فرنسا القومية إحتماله. ينظر:

- فيشر(هربرت.أ.ل)، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950، ط2، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، 1984 ص115.
10. وهبان(أحمد)، نصار(ممدوح)، التاريخ الدبلوماسي....، المرجع السابق، ص49.
11. هريدي(أحمد صلاح)، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1789-1914، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.م.ن، 2003، ص143.
12. رونوفان (بيير)، نفس المصدر، ص62.
13. وهبان(أحمد)، نصار(ممدوح)، المرجع السابق، ص50-51.
14. The protocol of Congress of Aix la Chapelle, 15 November, 1818, D.p. H.E.C, Doc.No6, pp14-16.
15. هلايلي (حنيفي)، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815_1830، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 15.
16. شالر(وليام)، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1824-1816)، تعريب و تعليق وتقديم إسماعيل العربي، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص323-324.

لم يتوصل المجتمعون إلى إتفاق على خطة العمل المشترك ضد الدول المغربية، حيث سوية بإرسال مبعوثان (انجليزي وفرنسي) لإبلاغ الداي بتصريح موجه لدول المغرب البحرية جاء فيه: "إن الدول التي إجتمعت في ايكس لاشابيل قد عقدت العزم على وضع حد لنظام القرصنة الذي هو

ليس مضرا بالمصالح العامة لكل الدول فقط وإنما أيضا مخرب لكل أمل في الرخاء بالنسبة للذين يستخدمونه، وإذا ما استمرت الإيالات في إتباع نظام هو عدو للتجارة الآمنة فإنها سوف تجر عليها قيام عصبة عامة من الدول الأوروبية ضدها، ويجب عليها أن تفكر في ذلك قبل فوات الأوان، لذلك أن قيام مثل هذه العصبة قد يؤدي إلى تهديد وجودها ذاته، وفي هذا الظرف العصيب فإن الوعود الشفوية لن تكون كافية إذ المطلوب هو عهد رسمي على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لأمن الملاحة، وتجارة جميع الدول وبما أننا بلغناكم نوايا الدول الحليفة كتابة فإننا نعتبر أنه من حقنا أن ننتظر منكم ردا على هذا المسعى بنفس الطريقة. "هذا وتجدر الإشارة أنه خلال هذا المؤتمر سعت فرنسا إلى إستبعاد الدولة العثمانية. ينظر:

رزيق (محمد)، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة "1837 تحليل وثيقة دبلوماسية"، الشاطبية للنشر والتوزيع ط1، 2012، ص47.

17. رزيق (محمد)، المرجع السابق، ص. 326 ينظر كذلك: فركوس (صالح)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830_1925، مديرية النشر لجامعة قالة، الجزائر، 2010، ص3. ينظر ذلك:

فركوس (صالح)، مختصر في تاريخ الجزائر "من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين"، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2002، ص 111. ينظر كذلك:

De Grammont (H.D)، « un episode diplomatique à Alger aux xvii siècle » in, R.A °26, 1882, pp 384_385.

18. قنان (جمال)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500_1830، مؤسسة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، 1987، ص 267.

19. قنان (جمال)، نفس المرجع، ص 268-269.

20. قنان (جمال)، المرجع السابق، ص 270.

21. قنان (جمال)، المرجع السابق، ص 271-272.

22. Garrot(Henri),histoire générale de l'algérie , édition crescenzo,alger 1910, p641.
23. الزبيري(محمدالعربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال 1792-1830، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1792، ص42.
24. هلايلي (حنيفي) ، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الإيالة، المرجع السابق، 17ص. ينظر كذلك: عزت عبد الكريم (أحمد) ، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص341.